ذات القوافي

قصيدة لابن الدريهم (٧٦٢هـ)

د. محمد حسان الطيان

الملخّص:

يتناول هذا المقال مخطوطاً نادراً يشتمل على موضوعٍ طريف، وهو قصيدة تقع في ثلاثين بيتاً، لكل بيت ثلاثون قافية – في مدح النبي محمد ﷺ – مما يسميه أهل البديع التخيير.

وهو يمهّد بعرض نبذة عن فن التخييس، ثم يترجم لصاحب القصيدة ابن الدريهم مشيراً إلى طرف من مصنفاته، ويصف بعد ذلك المخطوط متخيِّراً نماذج منه، ثم يسرد نص القصيدة بتمامها مع أول قافية لها وهي الهمزة، ويختار بيتاً منها ليعرضه مع جميع قوافيه مشفوعة بشرح غريبها وفق وروده في المخطوط.

تمهيد:

عَرَفَ شعرنا العربي فنوناً من القول، تنوّعت بتنوع أغراضه وأوزانه وبحوره وقوافيه، فمن طريف ذلك أبيات تنسب إلى أبي نواس لا قافية لها يقول فيها:

ولقد قلتُ للمليحة قولي من بعيدٍ لمن يحبُّكِ.....

(صوت قبلة مرتين)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فأشارتْ بمعصمٍ ثم قالت من بعيدٍ خلافَ قوليَ .....

(صوت لا مرتين)

فتنفستُ ساعةً ثم إني قلتُ للبغل عند ذلك....

(صوت زجر للبغل مرتين)[١]

وعلى العكس من ذلك نقرأ شعراً له قوافٍ متعدِّدة بدل القافية الواحدة، يمكن لكل منها أن تصلح قافية للبيت. وهذا ما يسمى فن التخييـر. وهو واحد من الفنون البديعية والصناعات اللفظية التي أولع بها المتأخرون وصارت مقصودة لذاتها، فتبعتها اللغة بعد أن كانت متبوعة. وقد عرض له ابن حِجّة الحَمَوي في بديعيته التي شرحها في كتابه المشهور خزانة الأدب حيث يقول:

(التخيير هو أن يأتي الشاعر ببيت يسوغ فيه أن يُقفّى بقوافٍ شتى فيتخير منها قافية يرجحها على سائرها، يستدل بتخيّرها على حسن اختياره كقول الشاعر:

إن الغريبَ الطويلَ الذيل ممتهنٌ فكيفَ حالُ غريبٍ مالَهُ قوتُ

فإنه يسوغ أن يقال: ماله مالُ/ ماله سببُ/ ماله أحدُ/ ماله قوتُ. فإذا تأملت ماله قوتُ وجدتها أبلغ من الجميع، وأدل على القافية، وأمس بذكر الحاجة، وأبين للضرورة، وأشجى للقلوب، وأدعى للاستعطاف. فلذلك رجحت على ما ذكرناه) [٢]. ثم ساق ابن حجة الحموي عدة أبيات على

---

(١) العمدة ١/٣١٠، وانظر تاريخ آداب العرب ٣/٣٧٤-٣٧٦ حيث سمى الرافعي هذا النوع من الصناعات اللفظية (القوافي الحسية) وأورد لها عدداً من الأمثلة.

(٢) خزانة الأدب ٩٦.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

هذه الشاكلة نسبها إلى ديك الجن جاء فيها.

قولـــي لطيفـــكِ ينثنـــي عـــن مضجعـــي عنـــد المنـــامْ

/عند الرقودْ/ عند الهجوعْ/ عند الهجودْ/ عند الوسنْ.

فعســـى أنـــام فتنطَفِـــي نـــارٌ تـــأجج فـــي العظـــام

/في الفؤادْ/ في الضلوعْ/ في الكبود/ في البدَنْ.

جســـدٌ تُقلبـــه الأكفْـــ ـــفُ علـى فـراشٍ مـن سـقام

/من قتادْ/ من دموعْ/ من وقودْ/ من حَزَنْ.

أمّـــا أنـــا فكمـــا علمْـــ ـــتِ فهـل لوصلـك مـن دوام

/من معادْ/ من رجوعْ/ من وجودْ/ من ثَمَنْ.

فهذه القوافي المثبتة يقابل كل بيت بما يليق منها، والأولى أولى وأرجح) [٣].

هذا ومن بديعِ ما قرأتُهُ أبياتٌ لأبي البقاء الرُّنْدي بثلاث قوافٍ يقول فيها:

دعنـي وإن قيـلَ الجنـونُ فنـونُ فـالصبُّ مثلـي بـالهوى مفتـونُ

/مقلوبُ/ مفؤودُ.

بـأبي الـذي أشـكو هـواهُ وصـدَّهُ والصـدُّ صعـبٌ والهـوى تهويـنُ

/تعذيبُ/ تنكيدُ.

كتَـبَ الجمـالَ بلحظِـهِ فـي خـدِّهِ والخطُّ في حُسـنِ الخـدودِ يزيـنُ

/عجيبُ/ يزيدُ.

---

(٣)خزانة الأدب ٩٧، وانظر تاريخ آداب العرب ٣/٣٧٣.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقد عقد الرندي في الوافي باباً عنوانه التبديل وهو يقتضي تبديل الترتيب أو تبديل القافية، وقد يكون التبديل في الرَّويّ فحسب(٤).

ولا شك أن مقدرة ابن الدريهم فاقت كل تصور حينما نظم قصيدته هذه ذات الثلاثين قافية، فأربى على كل ما قيل في هذا المجال، لأن أقصى ما وصل إليه الناظمون في هذا النوع لا يعدو سبع قوافٍ كما يقول الرافعي وهو يعلق على ذلك بقوله: «وإنما يحسن هذا متى اتفق استخراجه في شعر لا ما قُصد إليه، فإن القصد هنا محملُ التكلّف، وهو يُخْرِج الشعر إلى الصنعة فيسقط بها عن درجته قليلاً أو كثيراً... »(٥).

ترجمة ابن الدريهم(٦)

عليُّ بنُ محمدِ بنِ عبدِ العزيزِ، تاجُ الدينِ، المعروفُ بابنِ الدُّرَيْهِم. وُلِدَ في شعبانَ سنة ٧١٢هـ/١٣١٢م بالموصلِ، ونشأ فيها يتيماً ذا ثروةٍ، درسَ على كثيرٍ من عُلماءِ عصرِه، وتَنَقَّلَ تاجراً بينَ دمشقَ والقاهرةِ غيرَ ما مرَّةٍ،

(٤) أبو البقاء الرندي ٩٧.

(٥) تاريخ آداب العرب ٣/٣٧٣.

(٦) مصادر ترجمته: أعيان العصر وأعوان النصر ورقة ٩٤/ب-٩٥/ب، الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة ٣/١٠٦-١٠٨، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ١/٤٤٧، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ص١٠٣، ١٣٩، ١٨٢، ٢٠٩، ٢١٤، ٢٤٥، ٣٩٤، ٤١٠، ٤٨٠، ٤٨٥، ٤٨٦، ٩٧٢، ٩٨٧، ٩٧٧، ١٩٩٠، ١١٩٤، ١٥١٤، ١٧٧٠، ١٩٥١، ١٩٦٩. هدية العارفين ٧٢٣، الأعلام ٥/٦، معجم المؤلفين ٤/٢١٠، تاريخ الأدب العربي لبروكلمان (الذيل) ٢/٢١٣.

وانظر كتاب (علم التعمية واستخراج المعمى عند العرب ١/١٠٠-١٠٤).

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ورُتِّبَ مدرساً في الجامعِ الأمويِّ بدمشقَ، ثم دخلَ مصرَ سنة ٧٦٠هـ/١٣٥٩م فبعثَه السلطانُ الملكُ الناصرُ رسولاً إلى ملكِ الحبشة، فتوجَّهَ غيرَ منشرحٍ، فوصلَ إلى قُوصَ، وماتَ بها في صفرَ سنةَ ٧٦٢هـ/ ١٣٦١م. كانت له مشاركةٌ في علومٍ عدةٍ كالفقهِ والحديثِ والأصولِ والقراءاتِ والتفسيرِ والحسابِ، وذلك إضافةً لِما عُرِفَ به من براعةٍ في الأحاجي والألغازِ وحلِّ المُتَرْجَمِ (أي: استخراج المُعَمَّى، أو: كسر الشِّفرة) والأوفاقِ والحروفِ وخواصِّها. وخلَّفَ في هذا مصنَّفاتٍ كثيرةً تشهدُ بعُلُوِّ كَعْبِه فيها وتمكُّنِه منها.

مُصَنَّفاتُهُ:

أفادَ ابنُ الدُّرَيْهم من حياتِه التي لم تتجاوز الخمسينَ سنةً في التأليفِ أيَّما فائدةٍ، فجاءت مصنَّفاتُه كثيرةً متنوّعةً تنوُّعَ ثقافتِه الموسوعيةِ، وذلك بالإضافة إلى تقدُّمِه في العلومِ الخفيَّةِ كالمُتَرْجَمِ والأحاجي والألغازِ والحروفِ والأوفاقِ وغيرها. وقد وجدنا الصفديَّ أكثرَ مترجميه استقصاءً لمؤلّفاتِه، إذ عَدَّ له نحواً من ثمانين مُؤَلَّفاً، جُلُّها لم تذكُرْه مصادرُ ترجمتِه المطبوعةُ التي مضت الإحالةُ عليها، ويزيدُ من قيمةِ ترجمةِ الصفديِّ أنَّهُ نصَّ في بدئها على أنَّه نقلها من خطِّه. وسنوردُ من كتبِه – فيما يأتي – ما نرجِّحُ أنَّ له صلةً بالعلوم الغريبةِ التي افتَنَّ بها واشتهر:

١– اقتناع الحُذَّاق في أنواع الأوفاق.
٢– إيضاح المُبْهَم في حلّ المُتَرْجَم.
٣– إيقاظ المصيب في الشطرنج والمناصيب.
٤– بسط الفوائد في شرح حساب القواعد.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٥- بوادر الحلوم في نوادر العلوم.
٦- تصاريف الدهر في تعاريف الزّجر.
٧- تنائي المناظر في المرائي والمناظر.
٨- سبر الصرف في سرّ الحرف.
٩- سلّم الحراسة في علم الفراسة.
١٠- شرح الأسْعَرْدِيّة في الحساب.
١١- غاية الإعجاز في الأحاجي والألغاز.
١٢- غاية المَغْنَم في الاسم الأعظم.
١٣- قصيدة في حَلِّ رموز الأقلام المكتوبة على البرابي.
١٤- كنز الدّرر في حروف أوائل السور.
١٥- مختصر المُبْهَم في حلِّ المُتَرْجَم.
١٦- مفتاح الكنوز في إيضاح المرموز.
١٧- المناسبات العددية في الأسماء المحمّديّة.
١٨- مناسبة الحساب في أسماء الأنبياء المذكورين في الكتاب.
١٩- نظم لقواعد فَنِّ المُتَرْجَم وضوابطه.

قصيدة ابن الدريهم (ذات القوافي)

موضوع القصيدة مدح النبي محمد ﷺ، وعدّتها ثلاثون بيتاً نظمت على البحر الطويل، وقد بلغ فن التخييير أو (التبديل كما يسميه الرندي) فيها غايةً لم يُسبق إليها ولم يُلحق فيما أحسب، ذلك أن ابن الدريهم اصطنع لكل بيت منها ثلاثين قافية أتى فيها على حروف المعجم جميعها (٢٩حرفاً) وأضاف حرف (لام ألف)، فلك أن تقول إنها قصيدة همزية، ولك أن تقول إنها بائية، وتائية، وثائية، وجيمية،... إلى أن تستوفي حروف العربية.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

يقول في مقدمتها: «**إنني صنعت هذه القصيدة ثلاثين بيتاً تُقرأ بأي حرف من حروف المعجم الثلاثين، وما أظن أحداً سبقني إلى مثلها والله أعلم**»[٧]، ثم يقول: «**وجعلت في قوافيها همزة وألفاً ولام ألف لتكمل ثلاثين**»[٧].

فتلك إذن تسعمئة قافية لكلٍّ منها رويٌّ مختلف، وضعت بإحكام يتلاءم مع الوزن والمعنى على رأس ثلاثين بيتاً من الشعر في مدح سيد البشر محمد ﷺ.

ولا ريب أن الشاعر قد ركب مَرْكباً وعراً، وعانى ما عاناه في سبيل صنعته هذه؛ إذ تعدّى ما تحمّلَه غيرُه – من لزوم ما لا يلزم – إلى تكلّف ما لم يخطر على بال أحد من الشعراء من قبل ولا من بعد. ولا غرو فهو صاحب صنعة دقيقة وفنّ أصيل قلَّ المشاركون فيه، وهو علم التعمية واستخراج المعمّى[٨]، بالإضافة إلى ما عرف عنه من الحذق والمهارة في كل ما يتصل بالعلوم الخفية وحل الرموز والطّلَسْمات وقد صنف فيها مصنفات[٩]، ومع ذلك لم تخل قوافيه من بعض الركاكة، وهو يصرح بذلك إذ يقول معتذراً: «**فليمهد الناظر العذر فيما إذا اتفقت لفظة ركيكة في بعض القوافي، فإن تركيب ثلاثين لفظة متباينة على معنىً واحدٍ عسير جداً، وكذلك إن جاء تتمة البيت كلمتان موضع الكلمة**»[٧].

---

(٧) الورقة الأولى من المخطوط.

(٨) انظر رسالته: (مفتاح الكنوز في إيضاح المرموز) في كتاب: (علم التعمية واستخراج المعمى عند العرب ١/٣٠٩-٣٦٥).

(٩) انظر ما تقدم من ترجمته.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقد أدّاه ذلك إلى تخيّر الغريب من الألفاظ لا حبّاً في الغريب بل طلباً لإقامة الوزن ومطابقة المعنى. ولأجل ذلك تصدى لشرح اللغة سواء كانت في نص القصيدة أم في قوافيها المختلفة معتمداً على جامع القزاز وصحاح الجوهري ومحيط ابن عباد وغيرهم كما صرح بذلك في مقدمته[٧].

وصف المخطوط ونماذج مختارة منه:

المخطوط نسخة فريدة تقع ضمن مجموع محفوظ في مكتبة الأسد الوطنية بدمشق يحمل رقم (٣٣٤٢) [١٠] وتشغل فيه سبع ورقات (من ١-٧) في كل منها سبعة وثلاثون سطراً، وقياسها: ١٤,٥ × ٣٦,٥سم.

ناسخها رمضان بن موسى العطيفي الحنفي عام ١٠٧٩هـ في ختام جمادى الأولى. خطها معتاد، دقيق، كتبت بعض القوافي والألفاظ المشروحة بالأحمر.

وعلى الورقة الأولى منها تملّك باسم ناسخها «رمضان بن موسى العطيفي» وآخر باسم «محمد عاصم بن عبد المعطي الفلاقنسي» ووقف باسم «الوزير المعظم الحاج محمد باشا والي الشام» سنة ١١٩٤هـ.

وفيما يلي صورة الورقة الأولى من المخطوط بوجهيها، ويبدو في أعلى الوجه الأول الوقف وتحته مقدمة المؤلف، وفي الوجه الثاني نص القصيدة مع جزء من قوافيها:

---

(١٠) كنت قد صورته بالرقم نفسه من المكتبة الظاهرية بدمشق عام ١٩٨٠ قبل نقل مقتنياتها من المخطوطات إلى مكتبة الأسد الوطنية بدمشق.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ق ١

وقفها الحكيم نور الدين أبو الحجاج يوسف بن محمد بن أيوب
والكتب، وأمر بحجاج المحبوس والمرضى الذين يخرج من سكان الأمراض
وذلك سنة ٥٩٩ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم قال العبد الفقير إلى الله تعالى علي بن محمد بن
عبد الغفار بن أبي الفتح بن الدرتقم اليوسفي الشافعي بعد حمد الله وصلاته على رسوله محمود العواقب
وسلامه الذي بنعمته تتم الصالحات هذه القصيدة اللامية بيتاً تقرأ أم حرف تتآلف الإنسان من حروف المعجم
الثلاثين وما أظن أحداً سبقني إلى مثلها والله أعلم وهذه القصائد اتفقت أسماء رويها
ومفرداتها فمنها ما رويها المضروب المنصوص وهو الثاني من الطويل الآتية وهي حرف الألف
والأخيرة وهي الباء فأتى بها على الضرب التام وهو الأوفر من الطويل ولا محذور في ذلك فإن
كل حرف قصيدة على انفرادها فهي قائمة مقام ثلاثين قصيدة فلا ينكر أحد فيقول إن القوافي
تخلطت وإنما ينكر وقوع السآم والملل من روي واحد وكذلك أيضاً القصيدة الثانية إن
قال معترض إن الهاء هي الروي وإن الألف ردف فقد علمنا أن ذلك قول الأكثرين وقد سلك
ما سلكناه الجماهير من الشعراء فإن قيل إن الهاء ضمير وهي مرفوعة الانضمام فالجواب أن معناها
منصوبة وتخالفت الحروف التي قبل الألف في حسن دلوسا وبنا الحرف الذي قبل الألف كالهاء
في حرف الواو فاعتقد الناظر أن الألف وصل وأن الحرف الملتزم قبلها هو الروي وقد جانبنا
بينها وبين حرف الهاء فجعلنا الهاء هنا ألف أصلية وهي الضمير فليتفهم الناظر لذلك فإنها
إذا التقت لفظة تركيبية في بعض القوافي فإن تركيب ثلاثين لفظة متباينة على بعض واحد
عسر جداً وكذلك إن جاءت ثمة البيت كلمات موضع الكلمة قد تساوا على الهاء كما تساوا
اللفويتين وهو ولي بعد عشر وجهاً لتكون الأحرف الثلاثة الآتي في بعض طرقات وتركيبه
متباينة ومن أجل حروف المد واللين متباينة ولأن النون من النونية وشتان ما بين
الواو ولأن الواو في هيانون وليس له في الحروف نظير ولأن النون تشبه حروف المد
لأن فيها غنة كما في ثلاثة واو ولأنها تضعف حروف المد في المزيدين ونحوه والواو علامة الرفع
في الأسماء الستة وجمع المذكر السالم كما النون علامة الرفع في الأفعال الخمسة والواو من الجمع المذكر
كالميم كما أن النون لجمع المؤنث ولأن الواو تبادل الميم والنون فالميم مبدل من الواو في فم واعلم
فوه ويبدل النون من الواو في مثل مسناوك ونهراوك لأن الف التأنيث التي في صنعاء ونهراء
انما تقلب واواً فاصلم مسناوك ونهراوك ولكنه خرج عن القياس ولأن الهاء في بعض الأحوال
قريبة من شكل اللام ألف وللتقريب الهاء من الألف أي هي من مخرجها أعني التي في لام الف
فانه لما كان كل حرف نخرجه أولا اسمه كالميم اسم لحرف نخرجه من جهة الألف أولا الهمزة
لأن الألف ساكنة ولا يمكن النطق بالساكن أتوا بلام الف عوض الألف ليمكن النطق به واختير
اللام لأنها أوسع الحروف مخرجاً ولكونه لام في هيا الف كما الف في هيا لام وليس في الحروف ما
يقاربه شكله سواه وفي [illegible] في قوافيها همزة والفا ولام الف لتكمل الثلاثين واعتمدت فيما
نقلته من اللغة فيها على جامع القزاز ومجاج الجوهري ومحيط ابن عباد وان نقلت عن
غيرهم ذكرت قائلها وكما في بعض النسخ عوضي

قديم معان محدث بعد أهله ... حديث قديم محكم متشابه

وجه الورقة الأولى من المخطوط ويبدو في أعلاه الوقف

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ظهر الورقة الأولى من المخطوط ويشتمل على نص القصيدة وجزء من حواشيها

نصّ القصيدة بتمامها وقافيتها الأولى الهمزية

أورد هنا نص القصيدة بتمامها مقتصراً على أول قافية فيها، وهي الهمزة:

١-إذا لم أزرْ قبرَ النبيِّ محمدٍ ... وأسعى على رأسي فإنّي مُرجَّأُ

٢-نبيٌّ له فضلٌ على كلِّ مرسلٍ ... وآياتُهُ في الكونِ تُتلى وتَنْشَأُ

٣-رَقِي في السماوات العلى فتشرّفَتْ ... به ودنا من قاب قوسينِ يُنْبَأُ

٤-بدا نورُهُ كالصبحِ ثم علا بهِ ... فأشرقَتِ الأرجاءُ والحقُّ يملأُ

٥-ومن أُفُقِ التوفيق قد لاحَ نجمُهُ ... سعيداً ونجمُ الشرك لا شكَّ يخبأُ

٦-هداهُ بدينٍ كالمحجّة واضحٍ ... فما شانَهُ إلا حسودٌ مُشنّأُ

٧-محبتُهُ في قلب كلِّ موحّدٍ ... وفاز معاداً من بهِ يتفيَّأُ

٨-لَهُ هيبةٌ تَنْكِي فؤادَ عدوِّهِ ... وقبلَ يراهُ فهْو بالرعبِ يُنسأُ

٩-لهُ معجزُ القرآنِ باقٍ فذكرُهُ ... مدى الدهرِ تذكارٌ لمن يتقرَّأُ

١٠-كلامٌ بديعٌ في الأساليبِ نظمُهُ ... فألفاظُهُ حُسناً من الدُرِّ أضوأُ

١١-قديمُ معانٍ مُحْدَثٌ بنزولِهِ ... فقارئُهُ في جنّةِ الخلدِ ينصأُ

١٢-إذا ذُكِرَ الرسْلُ الكرامُ فأحمدٌ ... أتى آخراً لكنْ له الفضلُ مبدأُ

١٣-بشيرٌ نذيرٌ صادقٌ متصدّقٌ ... شفاعتُهُ تُرجى لمنْ يتلجَّأُ

١٤-خلائقُهُ مَرْضيةٌ مثلُ خَلْقِهِ ... فلا هوَ صخّابٌ ولا يتجشّأُ

١٥-مُحيّاهُ يُحْيي مَن رآه ببشْرِهِ ... ومنطقهُ في العُرْب أعلى وأفشأُ

١٦-مواهبُهُ بالعزمِ لم يَخْشَ أزمةً ... بكفٍّ كغيثٍ بل من الغيثِ أندأُ

١٧-إذا أمَّهُ راجٍ يُؤمّلُ رِفدَهُ ... فما ينثني إلا بما هو أجزأُ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

١٨-جميعُ صفاتِ الحسنِ قد جُمِعتْ لَهُ فما طيِّبٌ إلا ومعناهُ أربأُ
١٩-وماذا يقول المادحونَ ووصفُهُ بالانجيلِ والتوراةِ والذكرِ يُقرأُ
٢٠-وعِتْرتُهُ سبْلُ النجاةِ فكلُّهمْ بإرشادِهِ للخلقِ يهدي ويكلأُ
٢١-وأصحابُهُ من كلِّ أروعَ باسلٍ ومن كلِّ كرّارٍ من الليثِ أجرأُ
٢٢-إذا صالَ في يومِ الوغى بعدوِّهِ بحربتِهِ في حبَّةِ القلبِ يدرأُ
٢٣-أولئك خيرُ الناسِ والسَّادة الأُلى جنابُهُمُ رَحْبٌ لمنْ يتبوَّأُ
٢٤-جنابٌ تعلّقْنا بأسبابِ حبِّه وليسَ لنا عن بابِهِ الدهرَ ملجأُ
٢٥-وما ينقضي عامٌ وأُحْجبُ أن أرى مَعَاهدَهُ إلا وقلبي مُصدّأُ
٢٦-أُقضّي نهاري أنَّةً بعدَ أنَّةٍ غراماً ووجدْي في الدّجى ليسَ يهدأُ
٢٧-عليهِ سلامُ اللهِ والآلِ بعدَهُ وأصحابِهِ ما سارَ ركبٌ وهيَّؤوا
٢٨-إليكَ رسولَ اللهِ مدحٌ مقصِّرٍ حوى من قوافي الشعر ما ليسَ يُوطأُ
٢٩-نظمْتُ على جيدِ الزمانِ قلائداً من الدرِّ لا تبلى ولا تتهتَّأُ
٣٠-فيا ربِّ كن لابنِ الدريهمِ راحماً إذا عُرِضَتْ أوزارُهُ يومَ يُنْشَأُ

بيت من القصيدة مع قوافيه وشرح غريبه:

ولكي يطلع القارئ على نموذج من عمل ابن الدريهم نظماً وتقفية وشرحاً تخيرت البيت الأول من القصيدة بتمامه، أي مع قوافيه الثلاثين ثم أتبعتُه بشرح اللغة التي جاءت فيه. وتجدر الإشارة إلى أن المؤلف جعل لغة كل قافية على حدة، فبدأ بشرح لغة الهمزة، وانتهى بالياء، مرتباً ذلك وفق الترتيب الألفبائي. فما جمعته هنا للبيت الواحد جاء في المخطوط منثوراً على جميع القوافي، وسأرقم كل قافية برقم ليسهل ربطها بالشرح فيما بعد:

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

إِذَا لَـمْ أَزُرْ قَـبْرَ النَّبِـيِّ مُحَمَّـدٍ وَأَسْـعَى عَلَـى رَأْسِـي فَـإِنِّي...

١-مُرَجَّأُ ٢-مُعَنَّاهُ ٣ أُعَتَّبُ ٤-مُعَنَّتُ ٥-أَحْنَثُ ٦-مُحْرَجُ
٧-مُتْرَحُ ٨-مُوَبَّخُ ٩-مُفَنَّدُ ١٠-مُطرمَذُ ١١-مُقَصِّرُ ١٢-مُعْوِزُ
١٣- مُبْلِسُ ١٤-مُشَوَّشُ ١٥-مُنَغِّصُ ١٦-مُغْمِضُ ١٧-مُفْرِطُ ١٨-مُغَيَّظُ
١٩-مُضَيَّعُ ٢٠-مُوتَغُ ٢١-مُسَوِّفُ ٢٢-أَحْمَقُ ٢٣-أَعْفَكُ ٢٤-مُغْفِلُ
٢٥-مَذَمَّمُ ٢٦-أَرْعَنُ ٢٧-ذُو حَوَى ٢٨-مُتَيَّهُ ٢٩- مُبْتَلى ٣٠-مَزْوِيُّ

شرح لغة البيت وفق ورودها في المخطوط (في حرف حرف من حروف القصيدة):

١- مُرَجَّأُ: مؤخر، وفي بعض النسخ «مرزّأ» والرُّزْء المصيبة، وفي بعضها «أخطَأُ» أي آثَمُ، خَطِئَ يخطَأ خَطَأً، وأما أخطأ فهو ضد الصواب، وإنما يقال فيه أُخطِئُ.

٤- مُعَنَّتُ: العَنَتُ: الإثم، والعنت أيضاً: الوقوع في أمر شاق، وهو المقصود هنا. عَنَتَ، وأَعْنَتَهُ غيرُه، وجاءني فلان مُتعنِّتاً: إذا جاء يطلب زَلّتك.

٥- أحنث: أعصي والحنث الإثم والذنب.

٧- مُتْرَح: حزين.

٨- التوبيخ: التأنيب.

٩- مفنّد: ضعيف الرأي مستهتر، وبفتح النون: مَلُوم.

١٠- المُطَرْمَذ: الذي له كلام، وليس له فعل.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

١٢- مُعْوِزُ: مفتقر.

١٣- مُبْلِس: عاصٍ ومحيَّر، حزين ومنكسر مغموم.

١٤- مشوّش: التشويش: التخليط.

١٥- منغّص: منكّد ومكدّر.

١٦- مُغْمِض: متساهل، متهاون.

١٨- مُغَيِّظ: مُغْضَب، اغتاظ وتغيظ بمعنىً.

٢٠- مُوتَغ: هالك، وأثيم، أوتغه الله: أهلكه. وفي نسخة «مزعزع» أي: لئيم.

٢١- مسوّف: التسويف المَطْل.

٢٢- الحُمْق والحُمُق: قلة العقل، فهو أَحْمَق وحَمِق.

٢٣- أَعْفَك: أحمق، ومثله أَنْوَك. وفي نسخة «مُزَكّك» أي مغيظ غضبان.

٢٥- مُذمَّم: مذموم جداً[١١].

٢٦- أرعن: أحمق، ورِخوٌ أيضاً، ومضطرب أيضاً.

٢٧- الجَوَى: الحُرْقة، وشِدة الوجد من عشقٍ أو حُزن.

٢٨- مُتَيّه: محيّر، ومتوّه مثله، وفي نسخة «أروه» أي: أحمق.

٢٩- مبتلى: من البلية والبَلوة وبالكسر أيضاً، والبليّة والبَلوى والبَلاء واحد والجمع البلايا.

٣٠- مَزْوِيّ: ممنوع مقبوض عنه مطرود.

---

(١١) في الأصل: جد.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الخاتمة:

أماطَ هذا المقالُ اللثام عن مخطوط نادر غميس من مخطوطات تراثنا العربي الإسلامي، تظهر فيه براعة صاحبه اللغوية، إذ نظم قصيدة في ثلاثين بيتاً حشد لها تسعمئة قافية من فصيح الكلام العربي، فجاءت على نحو عجيب لم يُسبق إليه، وهي وإن بدا عليها التكلّف والتمحّل والصنعة تذكّر بغنى لغتنا، وثراء مفرداتها، وكثرة المترادفات فيها.

ثبت المراجع

١– **أبو البقاء الرندي، محمد رضوان الداية**، مؤسسة الرسالة، دمشق بيروت ١٩٧٦.

٢– **أعيان العصر وأعوان النصر، خليل بن أبيك الصفدي**، مخطوطة مصورة في الشركة المتحدة للنشر بدمشق.

٣– **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن التاسع**، الشوكاني، مصر ١٣٤٨هـ.

٤– **تاريخ آداب العرب** (الجزء الثالث)، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م.

٥– **تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان**، ترجمة عبد الحليم النجار وزملاؤه، دار المعارف بمصر، الطبعة الرابعة، ١٩٥٩م.

٦– **خزانة الأدب وغاية الأرب**، لأبي بكر بن حجة الحَمَوي (٨٣٧هـ). طبعة حجرية محفوظة في مجمع اللغة العربية بدمشق.

٧– **علم التعمية واستخراج المُعَمَّى عند العرب** (الجزء الأول)، محمد مراياتي، د. محمد حسان الطيان، د. يحيى مير علم. (من مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق).

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٨- **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**، لابن رشيق القيرواني (٤٥٦هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت.

٩- **قصيدة ابن الدريهم** (القصيدة وشرحها)، مخطوط في مكتبة الأسد الوطنية بدمشق.

١٠- **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، مصطفى بن عبد الله حاجي خليفة، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

١١- **معجم المؤلفين**، عمر رضا كحالة، مكتبة المثنى ودار إحياء التراث العربي.

١٢- **هدية العارفين**، إسماعيل باشا البغدادي، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

* * *

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net